انشقاق القمر ذكره القرآن وأثبته العلم

المصدر : (إعداد: محمد هاني عطوي)

تاريخ النشر: 15/08/2012

اقْتَرَبَتِ السّاعةُ وَانْشَقّ الْقَمَرُ (1) وَإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مَسْتَمِر (القمر: 54) .

ذكر الله في كتابه العزيز انشقاق القمر، ويجمع جمهور المفسرين على أن هذه الآية نزلت شاهدة على المشركين بظهور آية كبرى ومعجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم . ففي صحيح البخاري وجامع الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر . وفي رواية الترمذي عن ابن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فانشق القمر .

وكان ذلك في موسم الحج، وفي سيرة الحلبي: كان ذلك ليلة أربع عشرة، أي في أواخر ليالي منى ليلة النفر . وفيها اجتمع المشركون بمنى وفيهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن عبد المطلب، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فعلتُ تؤمِنون؟ قالوا: نعم . وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربّه أن يعطيه ما قالوا، فانشقّ القمر فرقتين، ورسول الله ينادي: يا أبا بكر يا أبا بكر، اشهدوا، اشهدوا . فقالوا: يا محمد، حين تُقدم سفارنا من الشام واليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثلما رأينا علمنا أنّه من ربّك، وإن لم يروا مثلما رأينا علمنا أنّه سحر سحرتنا به، وسارع الكفار إلى مخارج مكة ينتظرون القادمين من السفر، وحين قَدِم أول ركب سألهم الكفار: هل رأيتم شيئاً غريباً حدث لهذا القمر؟

قالوا: نعم، في الليلة الفلانية رأينا القمر قد انشقّ إلى فلقتين تباعدتا عن بعضهما البعض ثم التحمتا . فآمن منهم مَنْ آمن وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ .

وعن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: فقالوا: سحرنا محمّد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلّهم . وعن ابن عباس: انشقّ القمر فكان نصف على أبي قبيس ونصف على قعيقعان . والشق فرج وتفرق بين أديم جسم ما بحيث لا تنفصل قطعة مجموع ذلك الجسم عن البقية، ويسمى أيضاً تصدعاً كما يقع في عود أو جدار .

الشيء الغريب أنه بين بداية سورة القمر وآخر آية في المصحف هناك 1389 آية، وترتيب سورة القمر هو 54 وفي العام 1389 ه (1969م) كانت سنة الصعود البشري الأول على سطح القمر وكان يوم 4-5 ه الموافق (20-7م) هو اليوم الذي تم فيه الهبوط على سطح القمر! فهل هذه مصادفة؟

الذاكرة الشعبية والتاريخ

وإذا كانت الذاكرة الشعبية تعتبر مصدراً من المصادر التاريخية فإن أهل مالابار (وهي إحدى مقاطعات جنوب غربي الهند) يذكرون أن ملكاً من ملوكهم شاهد انشقاق القمر ورحل إلى مكة ليعتنق الإسلام، وفي السُنّة نجد حديثاً يذكر هذا الملك الهندي، حيث روي عن أبي سعيد الخدري في المستدرك: أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة .

وذكر مؤرخ ألماني أنه جاء في كتاب كيرالولباتي أن اثنين من الملوك رحلا إلى مكة في زمانين مختلفين، كما أن المراجع تذكر اسمين مختلفين: شكرواتي فرما وشيرامان بيرومان، وأول مسجد بالهند يطلق عليه اسم الثاني مسجد شيرامان . وفي إحدى المخطوطات الهندية القديمة والمحفوظة في مكتبة المركز الهندي بالمتحف البريطاني بمدينة لندن (تحت رقم 2807-152-173) ذكر المفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد حميد الله أن أحد ملوك مالابار وكان اسمه شكرواتي فرما شاهد انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ يحدث الناس بذلك .

وحدث أنْ مر عدد من التجار المسلمين بولاية مالابار وهم في طريقهم إلى الصين فسمعوا حديث الملك عن انشقاق القمر فأخبروه أنهم أيضاً رأوا ذلك وأفهموه أن انشقاق القمر معجزة ربنا تأييداً لخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فأمر الملك بتنصيب ابنه وولي عهده قائماً بأعمال مملكة مالابار وتوجّه إلى الجزيرة العربية لمقابلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبالفعل وصل الملك المالاباري إلى مكة المكرمة وأعلن إسلامه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم ركائز الدين الإسلامي، ولكن شاءت إرادة الله أن ينتهي أجله قبل مغادرته أرض الجزيرة فمات ودُفن في أرض ظفار، وحين وصل الخبر إلى مالابار كان ذلك حافزاً لدخول أهلها الإسلام .

ولكن هل هناك دول أخرى رأت انشقاق القمر وسجلته في المخطوطات القديمة؟

يشار إلى أن هناك مخطوطة فارسية تتضمن صورة بها رجال يشيرون إلى وجه قمر منقسم في السماء، وأن الحدث نفسه مسجل في مخطوطة مدريد في الصفحات (91-92 و93) .

وذكرت مخطوطات هندية وفارسية هذه الظاهرة في أوقات متقاربة، أي في مطلع القرن السابع الميلادي، أي ما يقرب من وقوع الحادثة . وقد ذكر المؤرخون وجود معبد في الصين كتب عليه: بني عام انشقاق القمر .

كلمة العلم

من الناحية العلمية، كشف علماء وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) وجود شق في القمر يبلغ طوله عدة مئات من الكيلومترات، فضلاً عن كشفهم لعدد من التشققات على سطح القمر لم يعرفوا سببها، إلا أن بعض العلماء يعتقدون أنها حدثت نتيجة لتدفق بعض الحمم المنصهرة، ولكن هذا التفسير هو مجرد وجهة نظر فقط، فهناك عدد كبير من التشققات على سطح القمر، وبعض هذه التشققات أشبه بوصلات لحام وكأننا أمام سطح معدني تشقق ثم التحم! وكل ما قاله علماء وكالة (ناسا) حول هذه الشقوق: كل الاقتراحات والنظريات فشلت حتى الآن في تفسير هذه الشقوق والطريقة التي لُحمت بها . ويعتقد بعض العلماء أن هذه اللحمات شُكّلت بوساطة الحمم المنصهرة التي تدفقت من الشقوق القمرية . ولكن هناك اختلاف عميق بين الحمم المتدفقة مثلاً على سطح الأرض وبين هذه الوصلات البارزة على سطح القمر، فهي ملساء وناعمة وكأنها صُنعت بشكل متقن! كما أن تدفق الحمم على سطح الأرض غالباً ما يشكّل فوهة أشبه بفوهة البركان، ولكن الأمر مختلف على القمر، فهذه القنوات أو الوصلات طويلة جداً وتحتفظ بعرضها وشكلها خلال المسافات الطويلة، وهذا لا نلاحظه على الأرض أبداً . إن هذه القنوات القمرية أو الشقوق القمرية تبدو وكأنها مرسومة ومُشكّلة بيد ماهرة، فهي انسيابية وقاعها ممهد وأرضيتها ثابتة ولا تشبه أي تضاريس جيولوجية على سطح الأرض أو غيرها من الكواكب المعروفة، وفي تقرير نشره الاتحاد الجيوفيزيائي الأمريكي عام 1970 يؤكد الباحثون أن الطريقة التي تشكّلت بها هذه الشقوق تناقض كل النظريات المألوفة! وأحد التفسيرات المهمة هي ما يقترحه المهندس وِّفز َمهْمت، حيث يقول: إن الأمر يشبه صدمة كهربائية عنيفة جداً، تماماً مثل ضربة البرق، وذلك بسبب شحنات كهربائية قادمة من الفضاء الخارجي اقتربت من القمر وأحدثت فيه ما يشبه ضربة شعاع البرق، فنتجت هذه الشقوق ثم أعيد لحمها كما يتم اللحام الكهربائي للمعادن بوساطة التيار الكهربائي ذاته .